المراكز الاجتماعية وما حققته للفلاح

أصبح الفلاح الآن رجل الساعة فى البلاد فقد استأثر بكل اهتمام أولى الرأى والمصلحين . وملأ الحديث عنه قاعات المحاضرات وأعمدة الصحف حتى كاد يطغى على أنباء الحرب . وإن كان هـذا الاهتمام بإصلاح حال الفلاح لم يتحول بعد إلى الناحية العملية التنفيذية فهو على كل حال ظاهرة طيبة لا بد وأن سيكون لها بإذن الله أثرها مع الوقت .

وأعتقد أنى أستطيع أن أوفر على حضراتكم وعلى نفسى الاسترسال فى وصف حالة الفلاح وما وصلت إليه من تأخر وكل ما أريد أن أكرر التنبيه إليه أن هذا الفلاح الفقير المريض المحروم من التعليم يكوّن أكثر من ثلاثة أرباع السكان أى غالبية الأمة أى أننا عندما نتحدث عن الفلاح وتأخره وهبوط مستوى معيشته نتحدث فى الواقع عن الشعب المصرى وتأخره وهبوط مستوى معيشته . ولا يغير من ذلك ما نشهده من بعض مظاهر التقدم حولنا فى المدن فهى لا تمثل البـلاد ولا يتمتع بها إلا قلة لا تذكر من السكان .

كما أريد أن أنبـه إلى أن مشـاكل الفلاح التى استعصت وتشابكت وأزمنت نتيجة إهمال شأنه ونتيجة عوامل سياسية واقتصادية مدى آلاف السنين لا يمكن أن تعالج بين يوم وليلة كما لا يمكن أن تثمر فى علاجها الحلول المرتجلة التى لا تقوم على أساس سليم من البحث العلمى والتجربة العملية .

وأضرب لحضراتكم مثلا أنه لما أنشئت إدارة الفلاح منذ عامين كان موضوع الشاى الأسود يحتل المكان الأول من اهتمام الرأى العام الذى اعتقد أن الشاى الأسود هو أس بلاء الفلاح فهو الذى يهدم صحته ويستنفد كل دخله ويحرمه من الغذاء والكساء .

محاضرة حضرة المحترم الدكتور أحمد حسين مدير إدارة الفلاح فى قاعة يورت التذكارية بالجامعة الأمريكية .

وكنا إذا ما طالبنا بأى إصلاح للفلاح كوضع حد أدنى لأجره مثلا كان الجواب أن لا ثمرة فى هذا لأن الفلاح سينفق الزيادة فى أجره على الشاى الأسود أيضاً وأننا لو قصرنا اهتمامنا على منع هـذا الشاى لتغيرت حال الفلاح واستغنى عن أى إصلاح آخر وبحث هذا الموضـوع علمياً تبين أنه ليس لهذا الشاى الأسود ضرر صحى يتجاوز ضرر أنواع الشاى الأخرى وأن ما تنفقه البلاد على الشاى الأسود والأحمر والأخضر معاً لا يتجاوز فى مجموعه ½ مما تنفقه على الدخان وبذلك فقدت معركة الشاى أهميتها وقد قصدت بهذا المثل مجرد التدليل على قيمة البحث العلمى وخطر التأثر بالظواهر والآراء الطارئة وأننى بالطبع أبعد ما يكون عن التشجيع على استعمال الشاى الأسود فالفلاح أولى بالاستفادة بكل مليم من دخله الضئيل ينفقه فيما ينفعه .

نقطة ثالثة أريد التنبيه إليها فى بداءة هذا الحديث وهى أن أول خطوة فى سبيل إصلاح حال الفلاح هى تغيير اتجاهه العقلى وحالته النفسية وذلك بأن يشعر بما يحتاجه من إصلاح وأن يقتنع بضرورته وأن يسعى لتحقيقه فلن تثمر مشروعات الإصلاح التى تفرض على الفلاح دون أن يتفهمها ويقتنع بفائدتها ويكون له نصيب فى تحقيقها .

أضف إلى ذلك أن موارد الدولة لن تتسع لتحقيق كل مشروعات الإصـلاح إذا قامت بها الحـكومة وحدها ، فمشروع تعميم مياه الشرب يحتاج إلى ٢٠ مليون من الجنيهات ومشروع القرى النموذجية يحتاج إلى ٩٠ مليون جنيه وهلم جرا . .

. . .

الآن نعود إلى موضـوع حديثنا وهو المراكز الاجتماعية وما حققته للفلاحين وأعتقد أن هـذا العنوان فيه كثير من التجاوز ، إذ لم يمض بعد على البدء فى تنفيذ مشروع المراكز الاجتماعية إلا نصف عام أو أكثر قليلا وقد اتفقنا على أن إصلاح حال الفلاح على أساس سليم ليس مما يتيسر تحقيقه فى مثل هذا الوقت القصير وربما كان العنوان الأنسب لموضوعنا المراكز الاجتماعية وما بدأت بتحقيقه للفلاح .

وقبـل تناول ما بدأت المراكز الاجتماعية فى القيام به من خدمات أرى أن أذكر لحضراتكم بإيجاز ماهية هذا المشروع .

وضع هذا المشروع بعد دراسة وافية لظروف الريف المصرى واحتياجاته وما قامت به بعض البلاد المشابهة لنا كالهند وبعض دول البلقان فى ميدان الإصلاح الريفى وكذلك التجارب العملية لإصلاح القرية التى تقوم بها بعض الهيئات فى مصر .

ويقوم المشروع على أسس ثلاث :

أولا — أن يتناول خدمة الفلاح والقرية من كافة النواحى الاقتصادية والصحية والثقافية والاجتماعية فى وقت واحد إذ من الثابت أن الخدمة فى اتجاه واحد لا ثمرة لها فما فائدة إرشاد الفلاح إلى وسائل النظافة والصحة إذا حال فقره دون القدرة على شراء الصابون كما أن تعليم الفلاحين مع تركهم على ما هم فيه من فقر وجوع قد يضر ولا ينفع .

ثانياً — اقتناع الفلاحين بمزايا الإصلاح وكسبهم للمعاونة على تحقيقه عن طريق مساهمتهم المادية فى التكاليف واشتراكهم الفعلى فى إدارة العمل اشتراكا يزيد مع الوقت حتى يصبح المركز الاجتماعى هيئة محلية بالقرية يديرها الأهالى بأنفسهم وتكتفى الحكومة بإرشادهم وتوجيههم وإعانتهم مالياً فى حدود متواضعة .

ثالثاً — مراعاة البساطة وقلة التكاليف حتى يسهل تعميم المشروع .

ويتولى العمل فى كل مركز موظفون ثلاثة يقيمون فى القرية بين أهلها وهم :

أولا — إخصائى زراعى اجتماعى من خريجى كلية الزراعة تلقى منهجاً خاصاً فى الخدمة الاجتماعية الريفية ومهمته العمل على زيادة دخل الفلاحين بإرشادهم إلى اختيار أفضل البذور واتباع أحدث أساليب الزراعة وطرق مقاومة الآفات ومعاونتهم فى تصريف حاصلاتهم وتشجيع التعاون بينهم وإدخال ما يلائم المنطقة من زراعات مربحة وصناعات زراعية لاستغلال منتجاتهم وصناعات منزلية تمكنهم من استثمار وقت فراغهم بشكل مربح كما تتناول مهمته المعاونة على تحقيق كل ما يؤدى إلى رفع المستوى الثقافى والاجتماعى بالقرية .

ثانياً — طبيب يعمل كل الوقت أى ليست له عيادة خاصة ومهمته دراسة القرية دراسة صحية ووضع سياسة لتلافى ما بها من عيوب ، كما يقوم بإرشاد الأهالى إلى

طرق توقى الأمراض . ويتولى هـذا الطبيب علاج الفلاحين بالمجان وصرف الدواء لهم بالمجان أيضاً سواء بالعيادة الطبية أو فى المنازل عند الضرورة .

ثالثاً — زائرة صحية اجتماعيـة من خريجات مستشفى القصر العينى تلقت تدريباً خاصاً فى الخدمة الاجتماعيـة الريفية وتعنى بصحة الحوامل والأمهات والأطفـال كما تعمل على رفع مستوى القرويات بتعليمهن النظافة وإرشادهن اجتماعيـاً وتلقينهن بعض الصناعات اليدوية النافعة كمصدر دخل إضافى لهن وتستعين الزائرة فى عملها بدايات القرية الحاليات مع توجيههن والإشراف عليهن وقد بدئ بتعليم بعض فتيات القرية الصالحات للتوليد والتمريض بمراكز رعاية الطفل وذلك بغيـة رفع مستوى الخدمة فى القرية عن طريق أهلها أنفسهم .

وأول مهمة لموظفى المراكز الاجتماعية بعد التعرف إلى الأهالى وكسب مودتهم وثقتهم هى بحث حالة القرية بحثاً علمياً . وعلى الطبيب أن يفحص جميـع أهل القرية فرداً فرداً فحصاً طبياً شاملا وعلى الإخصائى أن يدرس حالة كل عائلة دراسة اقتصادية اجتماعية كاملة وسيكون لتلك البحوث عند إتمامها قيمها العلمية والعملية .

والأسـاس فى عمـل هؤلاء الموظفين هو الروح التى تسودهم فهم ليسوا من الحكام بل مرشدون وإخوة الفلاحين يقيمون بينهم ويدرسون متاعبهم واحتياجاتهم ويتعاونون معهم على النهوض بأنفسهم وقريتهم وليس لهم من سلطان أو نفوذ إلا بقدر ما يكتسبون من ثقة ومحبة . فطبيب المركز مثلا يسعى لتلافى أسباب الإصابة بالأمراض وينير أذهان الفلاحـين بأحاديثه معهم ويعنى بعلاج الفقير قبـل الغنى ولا يتأخر عن تلبية طلب أصغر فلاح فى أى وقت بالليل أو النهار وبلا مقابل وهو ينظر إليهم نظرته إلى أهله وعشيرته عليـه أن يقيهم ما استطاع من الإصابة من الأمراض وعليه أن يعالج ويرعى مرضاهم . وقد شاهدت عند زيارتى لأحد المراكز الاجتماعية أخيراً مريضاً فقيراً يحتاج لعنـاية متصلة أبقـاه الطبيب لديه شهرين يسهر على علاجه ويطعمه من جيبه الخاص .

أما عن منشآت المركز الاجتماعى فتتكون من صالة فسيحة للاجتماع وسماع المحاضرات والراديو ملحق بها غرفة للمكتبـة القروية واجتماع المجالس واللجان وأخرى للإخصـائى . ومن دار لرعاية الأم والطفل تقيم بهـا الزائرة الصحيـة .

وأخرى للعيادة الطبية ومسكن لكل من الطبيب والأخصائى . كما تشمل تلك المنشآت طلمبات لتوفير المياه النقية وحمامات للرجال وأخرى للنساء .

أما عن تكاليف المراكز الاجتماعية فقد قدرت عند وضع المشروع بثلاثة آلاف جنيهاً من جانب الحكومة لكل مركز فى السنة الأولى تهبط بعد ذلك إلى ١٠٠٠ جنيه سنوياً أى بمعدل عشرة قروش لكل شخص فى السنة نظير خدمات المركز الشاملة على أساس أن كل مركز يخدم ١٠٫٠٠٠ نفس من أهل الريف وهو مبلغ تافه بالنسبة لقيمة تلك الخدمات .

وقد خفضت الحكومة بسبب الظروف الحالية الحاضرة الاعتماد المخصص لإنشاء المراكز الاجتماعية من ١٠٠٫٠٠٠ جنيهاً لثلاثين مركز إلى ١٥٫٠٠٠ جنيهاً لخمسة مراكز .

• • •

بعد هذا العرض السريع لأغراض مشروع المراكز الاجتماعية وأسسه ووسائله أود أن أشير ثانية إلى أننا لم نبدأ بتنفيذ هذا المشروع إلا من منتصف العام الماضى أى أننا لم نزل فى البداية وأمامنا طريق طويل شاق فى العمل المستمر حتى نصل إلى تحقيق الإصلاح المرجو ، فالمقصود من حديثى إلى حضراتكم الليلة أن أصف بداءة العمل فى المراكز الاجتماعية علّ ما شاهدناه من بوارق الأمل والنجاح يضاعف إيماننا بسلامة هذا المشروع ، ويقوى ثقتنا بأننا نسير فى الطريق السليم وأن إصلاح حال الفلاح أمر ليس بالمستحيل عملياً كما يظن بعض المتشائمين . وحقاً بالرغم مما لاقيناه من مختلف الصعوبات خصوصاً ما سببته الحرب من ارتفاع فى أسعار مواد البناء والأدوات الصحية والحاجيات الطبية بل وتعذر الحصول على الكثير منها فقد بدأ المشروع بنجاح نغتبط له كل الاغتباط .

وضع المشروع على أساس أن يتحمل الأهالى نصيباً من تكاليف المبانى اللازمة كأن يتبرعوا بالأرض والطوب والعمل وقد كان تقديرنا هذا مثاراً لسخرية الكثيرين الذين لم يؤمنوا بأن الفلاح يدفع قرشاً .

والواقع أن الفلاح وإن كان كثير الشك قليل الإيمان بموظفى الحكومة بطىء الاستجابة لندائهم فالذنب ليس بذنبه لأنهم لم يشعروه أنهم يريدون خدمته وفهم

مصاعبه ومساعدته فى التغلب عليها . فأكثر ما يلمسه الفلاح الصغير من جانبهم مظاهر التحكم والتعالى والإيذاء بالمحاضر والمخالفات دون أن يحاولوا إفهامه مزايا القوانين والأنظمة التى يقومون على تطبيقها .

والفلاح لو فهم وآمن باللين والعطف لما تأخر عن التعاون والسخاء ، وبالفعل لمسنا ذلك عندما كررنا زيارتنا للقرى شارحين لأهلها المشروع معتمدين على الإيمان والإقناع بعيدين عن أى ضغط أو إكراه ، وقد تجاوز سخاء الأهالى تقديرنا . ولما علموا بتخفيض عدد المراكز تسابقوا فى كسبها لقراهم ، وتحمسوا حتى تعهدوا بإقامة المبانى بالكامل على نفقتهم رغم أن تكاليفها تتجاوز الألفين من الجنيهات ، وزاد عدد القرى التى أبدى أهلها هذا الاستعداد عن ضعف ما تسمح به ميزانيتنا ، كما أبدى أهالى ٦٠ قرية أخرى استعدادهم للمساهمة بما لا يقل عن ١٠٠٠ جنيه فى كل جهة .

وليس هذا مجرد وعد كلامى فقط فقد أوشكت المبانى أن تتم فى أول مركز وهو بناحية هلا مركز ميت غمر ، وقد بلغت التبرعات فى تلك الجهة للآن ١٤٥٠ جنيه وفدان من الأرض و ١٠٠٫٠٠٠ طوبة حمراء جمعت كلها بغير إجبار وبمعرفة لجان مختارة من أهل الجهة أنفسهم .

وتسير عملية جمع التبرعات والمبانى أو التشوينات فى بقية المراكز بهمة ونشاط ولن يمر هذا العام بإذن الله إلا وتكون المبانى قد تمت فى الخمس مراكز الأولى رغم غلاء الأسعار .

ويقبل الأهالى على التبرع والمساهمة فى إقامة المبانى صغيرهم وكبيرهم كل بحسب طاقته وذلك بأن اتفقوا فيما بينهم على فئة معينة عن كل فدان تتراوح بين ٢٠ و ١٠٠ قرش وفقاً لحالة كل قرية كما ساهم غير الملاك كل بقدر طاقته ولم يتأخر عن التبرع حتى أرق أهل القرية حالا فساهم البناء والنجار والعامل بعملهم أياماً معلومة ، ومن طريف ما حدث فى أحد المراكز أنه علاوة على التبرعات العادية قام شبان القرية بمناسبة العيد بتنفيذ مشروع القرش للمركز الاجتماعى فى قريتهم بمعدل قرش واحد عن كل شخص وقد استجاب لندائهم ٨٦٠٠ شخص دفعوا مبلغ ٨٦ جنيه مع مراعاة أن أهل هذه القرية أقل عدداً من ١٠٫٠٠٠ نفس وقد شهدت بنفسى فى جهة

أخرى أن بلغ الحماس للتبرع أن تقدم مساح أحذية للتبرع بمبلغ جنيه فنصحته شخصياً بتخفيض تبرعه إلى ٢٠ أو ٥٠ قرشا فلم يقبل وأصر على دفع الجنيه ، كما تقدمت فلاحة فقيرة بدجاجاتها للجنة جمع التبرعات لبيعها وأخذ ثمنها للمشروع .

وفيما يلى بيان بما وصلت إليه التبرعات فى المراكز الاجتماعيـــة حتى نهاية الشهر الماضى .

هلا — ويشمل قرى هلا والقيطون وكفر الشيخ بالدقهلية وبلغت التبرعات التى دفعت بالفعل فيه ١٤٥٠ جنيهاً وفداناً من الأرض و ١٠٠ر٠٠٠ طوبة حمراء وقد تم إقامة مبنى دار رعاية الأم والطفل والعيادة الطبية وأوشك بناء المركز الاجتماعى أن يتم .

برما — ويشمل قريتى برما وحصة برما بالغربية وبلغت التبرعات به ٨١٤ جنيها وتم بناء دار رعاية الأم والطفل ووصلت مبانى العيادة الطبية والمركز الاجتماعى إلى ارتفاع ٥ر١ متر .

العلاقمة — ويشمل قريتى العلاقمة وكفر موسى عمران بالشرقيـة ، وبلغت التبرعات به ٩٠٦ جنيهات وتم شراء منزل يصلح كدار لرعاية الأم والطفل وشون ١٢٠ر٠٠٠ طوبة حمراء و ١٥٠ متراً مكعبا من الزلط والرمل وسيشرع فى حفر الأساس لمبانى العيادة الطبية والمركز الاجتماعى هذا الأسبوع .

أبو النمرس — ويشمل قريتى أبو النمرس وترسا بالجيزة وبلغت التبرعات به ٨٦٢ جنيها وشون ٥٢٠ متراً مكعبا من الدبش و ٣٠ متراً مكعباً من الجير وأمكن الحصول على فدانين من أملاك الحكومة لإقامة المبانى عليه .

منية الحيط — ويخدم قرية منية الحيط بالفيوم وبلغت التبرعات به ٥٣٧ جنيها وشون ٨٠٠ متر مكعب من الدبش والطوب الأحمر والرمل و ٢٤ متراً مكعباً من الجير الحى وأمكن الحصول على جبانة قديمة ملك الحكومة تزيد مساحتها على ثلاثة أفدنة لإقامة المبانى عليها بعد تمهيدها بمعرفة الأهالى وتم تمهيد ما يزيد عن مساحة ٥ر١ فدان وكانت هذه الجبانة القديمة تشوه منظر القرية وتضرها صحياً .

محلة زياد — ويشمل قريتى محلة زياد ومحول بالغربيـة ، أمكن إنشاء هـــذا

المركز الاجتماعى السادس أخيراً من نفس الاعتماد ، وبلغت التبرعات به ١٥٠ جنيها ، وأمكن الحصول على مساحة ٦٠٠٠ متر من أملاك الحكومة لإقامة المبانى عليها .

وإن كان لهذه التبرعات قيمتها المادية فى تخفيض نفقات المشروع مما يسهل تعميمه فلها ناحيتها الأدبية التى لا تقل عن الأولى أهمية ، فهى تحفظ على الفلاحين كرامتهم وتشعرهم بأن المركز الاجتماعى مركزهم يعتزون به ويعملون على نجاحه ويقبلون على الاستفادة بخدماته وهم مرفوعو الرأس موفورو الكرامة .

ولم يسمح حماس الأهالى للمشروع بالانتظار حتى تتم إقامة المبانى ، فنزلوا لنا مختارين عن أفضل منازلهم بلا مقابل ليبدأ بها العمل ويقيم فيها الموظفون .

بدأ الموظفون بالمراكز عملهم بالتعرف إلى الأهالى وكسب مودتهم وثقتهم ، وانتهاز كل فرصة لتفهيمهم جميعاً ماهية المركز الاجتماعى وأغراضه ومزاياه واختيار الشخصيات التى تميل للخدمة العامة وتصلح للقيادة للاستعانة بها فى العمل . وتمشياً مع أساس المشروع فى إشراك الأهالى فى تولى أعمال الإصلاح ، كونت فى كل جهة جمعية للمركز الاجتماعى وانتخبت هذه الجمعية من بين أعضائها لجان لمختلف أوجه النشاط وهى :

لجنة الاقتصاد والزراعة — لجنة الصحة والنظافة — لجنة الثقافة والتعليم — لجنة تنظيم الإحسان — لجنة المصالحات — لجنة الإصلاح الدينى .

ويتولى الإخصائى الزراعى الاجتماعى إرشاد تلك اللجان وتوجيهها على أن تتدرب على تولى مهامها بنفسها ، كما يعنى الأخصائى بجمعيات التعاون القائمة بالعمل على تنشيطها وتنسيقها وإنهاض الضعيف منها وإنشاء جمعيات نموذجية على أسس سليمة حيث لا توجد جمعيات .

وسنتناول فيما يلى أهم الخدمات التى أدتها المراكز الاجتماعية :

الخدمات الاقتصادية :

أولا : تحسين الانتاج الزراعى — نجح الإخصائيون فى توجيه الأهالى نحو تحسين إنتاجهم بإرشادهم وإقناعهم باستعمال أحسن أصناف التقاوى التى لا تصل عادة إلى صغار الزراع كالقمح مبروك فى ناحية برما ، وبذرة القطن الأشمونى الممتاز فى قرية

أبو النمرس والقطن الكرنك فى محلة زياد . كما تناول نشاط الإخصائى إدخال أساليب الزراعة الحديثة كزراعة الذرة بالنقر فى أبى النمرس والأرز بالشتل فى هلا والقطن بالمضرب القمعى والرمل فى كل المراكز .

ونجح الإخصائيون فى حث الأهالى على تنظيم الجهود فى مقاومة الآفات الزراعية فنجحت مقاومة دودة القطن عن طريق الأهالى فوفرت قرية برما مثلا مالا يقل عن ثلاثة آلاف جنيه كانت تتكلفها للتراحيل الحكومية سنوياً .

وقد وافقت وزارة الزراعة على إنشاء حقل صغير نموذجى لكل مركز اجتماعى يشرف عليه الإخصائى وذلك لاستكمال الناحية العملية والنموذجية الملموس فى الإرشاد الزراعى .

ثانياً : *إدخال زراعات مربحة* — أمكن إقناع الأهالى بزيادة مساحة زراعة الخضر بدلا من القطن مثال ذلك زادت مساحة الخضر ٩٠ فداناً فى ناحية أبو النمرس . كما أمكن إدخال زراعات جديدة مربحة لأول مرة فى قرى المراكز الاجتماعية كالبطاطس فى العلاقمة وبرما والخرشوف والبسلة والكتان بأبى النمرس والعنب والبرتقال بالعلاقمة والأشجار الخشبية بكميات كبيرة بكافة المراكز مما شجع على إنشاء مشتل صغير بكل قرية لمد الأهالى بما يحتاجون إليه من أشجار مستقبلا وقد عرض كثير من تلك الأشجار فى مداخل وطرق القرى لتجميلها والاستفادة بظلها .

ثالثاً : *تربية الماشية والدواجن* — استجاب بعض الأهالى لنصح الإخصائيين بتربية العجول على نطاق واسع لغرض بيعها للذبيح وتم ذلك فى برما ومنية الحيط . كما نجحت الجهود التى بذلت فى تحسين نوع الدجاج باستيراد الأصناف الممتازة من وزارة الزراعة وتم مشترى حوالى ١٢٫٠٠٠ كتكوت من نوع الفيومى واللجهورن للخمس مراكز لغاية الآن .

وقد تم الاتفاق مع وزارة الزراعة على استبدال الديكة الحالية بقرى المراكز بديكة ممتازة من الفيومى واللجهورن بدون مطالبة الفلاحين بفرق الثمن ، وبذا سيتغير نوع الدجاج ووزنه وإنتاجه للبيض تغييراً كبيراً يؤثر على دخل صغار الفلاحين تأثيراً

ملموساً ، إذ يبلغ ما تعطيه الدجاجة الواحدة من اللجهورن سنوياً بـ ٢٢٠ بيضة كبير الحجم ، فى حين أن إنتاج الفرخة البلدية لا يتجاوز ١٦٠ بيضة صغيرة الحجم .

وقد وافقت وزارة الزراعة على تسليم كل مركز اجتماعى أربعة طلائق ممتازة من الجاموس والبقر والحمير والأغنام لتحسين سلالات الماشية فى المنطقة ، وللتدليل على قيمة تحسين نوع السلالات نذكر أن متوسط إدرار الجاموسة العادية للبن يبلغ حوالى ٨ أرطال يومياً ، فى حين أن إدرار الجاموسة من السلالات الممتازة ببعض مزارع وزارة الزراعة تصل إلى ٤٠ رطلا يومياً ، فلو وصلنا ولو إلى نصف هذه الكمية فى إدرار جاموسة الفلاح العادى لكان معنى ذلك زيادة إنتاجه من اللبن إلى ٢٥٠ ٪ من الكمية الحالية .

ومعلوم أن صغار الفلاحين يعتمدون فى معاشهم على مثل تلك الموارد الإضافية أكثر من اعتمادهم على أجورهم أو ما يتبقى لهم من إيراد الأرض بعد سداد إيجارها المرتفع ، بل كثيراً ما لا تكفى هذه الغلة لسداد الإيجار فيوفون الباقى من ثمن الجبن والزبد والبيض .

رابعاً : الصناعات الزراعية والمنزلية — أمكن إدخال تربية دودة القز لإنتاج خيوط الجراحة لأول مرة فى قرى المراكز كلها ، كما حصلنا من وزارة الزراعة على كمية من أشجار التوت لكل مركز ، وذلك توطئة للتوسع فى التربية مستقبلا . ويهمنى أن أنوه إلى أن العائلة التى تربى نصف علبة فقط من بويضات دودة القز تحصل عليها بالمجان ولا تكلفها التربية أكثر من العناية والنظافة وجمع جانب من أوراق التوت لغذاء الديدان تحظى فى نهاية موسم التربية الذى لا يتجاوز شهرين بربح لا يقل عن أربعة جنيهات ثمناً لخيوط الجراحة الناتجة ، وهذا المبلغ يعادل دخل العامل الأجير طول العام على أساس أن يعمل ١٨٠ يوماً فى السنة ويتقاضى أجراً قدره ٣ قروش يومياً .

وقد أمكن إقناع مربى النحل فى هلا ، وهم كثيرون ، باستعمال الطرق الحديثة النظيفة فى استخراج وتصفية عسل النحل بمعاونة وزارة الزراعة ، والمنظور أن يحصل هؤلاء المربون على أكثر من ضعف الثمن لعسلهم العادى (تجربتنا من تجارب سابقة) دون تحمل أى نفقات جديدة أو مجهود سوى العناية والنظافة .

وتمت دراسة مشروع مصنع ريفى للمكانس وآخر للدواسات من الليف وثالث للعجوة النظيفة فى أبى النمرس وعملت التجارب اللازمة وسيبدأ العمل فى تلك المصانع قريباً . وللتدليل على أهميـة تلك الصناعات الصغيرة أذكر لحضراتكم أنه عنـد صنع عينات العجوة النظيفة وبيعها فى السـوق بأقل من السعر السائد تبين أن الفلاح يحصل بهـذه الطريقة على ثمن يزيد بمقدار ٤٠ ٪ عن ثمن العجوة العادية بعد كل التكاليف ، وتظهر قيمة هذه الزيادة إذا لاحظنا أن بتلك القرية ٦٥٫٠٠٠ نخلة ، ويلاحظ أن مصر تستورد سنوياً من الخارج عجوة بما يزيد عن ٧٠٫٠٠٠ جنيه .

وقد بدئ بشراء أنوال نسيج يدوية لتعليم الفـلاحين تلك الصناعة المنزليـة لاستغلال أيام تعطلهم وأوقات فراغهم بشكل مثمر يزيد من دخلهم الضئيل وبدئ كذلك فى إدخال صناعة الجريد لإنتاج الكراسى والأسرة والأقفاص فى نواحى أبو النمرس والعلاقمة ومنية الحيط .

وتتولى الزائرات الصحيات تعليم فتيات القرى أشغال الصوف والإبرة والتريكو لصنع الطواقى والمفارش والشيلان وغير ذلك من المنتجات التى يسهل تصريفها بشكل مربح ، وقد بدأ فتيات أبو النمرس والعـلاقمة ومنية الحيط بإنتاج بعض الأصناف الصالحة للسوق .

وأرجو ألا نستهين بقيمة وأهميـة تلك الصناعات المنزلية الصغيرة كوسيلة لزيادة دخل صغار الفلاحين ومكافحة فقرهم وهو أس ما هم فيـه من بؤس وشقاء ، فالفلاح يعمل يوماً ويتعطل آخر وليس لزوجته ما يشغلها من طهى ألوان الطعام المختلفة ، أو حياكة الملابس الكثيرة أو العناية بنظافة فاخر الأثاث فقد أراحها الفقر من هذا كله ، وبضعة قروش تكسبها الأسرة فى الأسبوع من أية صناعة إضافيـة كالغزل والنسيج أو غير ذلك تفرج من ضيقها وتغير من حالها .

وقد سبقنا كبار المصلحين الريفيين فى الهند واعتمدوا بنجاح على نشر الصناعات المنزلية فى القرى كخير وسيلة لمكافحة الفقر .

الناحية الصحية : كانت أول خطوة فى هذه الناحية دراسة حالة القرى ووضع السياسة اللازمة لتوفير البيئة الصحية فيها كتوفير مياه الشرب والحمامات ودراسة حال البرك الموجودة وأفضل خطة للتعاون على ردمها وحالة دورات مياه المساجد وخير الطرق لإصلاحها وحالة مآخذ المياه الحالية فى القرى وطرق تصريف الفضلات

وغير ذلك وقد وجهت لنظافة القرى — طرقها ومنازلها وأشخاص سكانها — أكبر عناية فهناك دعاية مستمرة لحث الأهالى على تنظيف دورهم من الداخل وما يقع أمام الدار من الطريق ويمر الإخصائى والزائرة يومياً لهذا الغرض يعاونهم فى ذلك أعضاء لجنة الصحة والنظافة الذين قسموا القرية فيما بينهم إلى مناطق اختص كل منهم بإحداها وقد شكلت لجان من تلاميذ المدارس لمراقبة نظافة الطرق ومن التلميذات لمراقبة نظافة المنازل من الداخل وللمتفوقين من أعضاء تلك اللجان شارات خاصة يعتزون بها ويحرصون على مداومة الاحتفاظ بها لأن النظام الموضوع يقضى بسحب الشارة من كل من يهمل ، ويجرى منح وسحب تلك الشارات فى اجتماعات عامة بالمدارس يحسب لها هؤلاء الصغار كل حساب .

وقد اختفت قريباً أكوام الأسمدة والأتربة والقاذورات من الطرق وارتفع مستوى نظافة المنازل ارتفاعاً ملحوظاً .

وتلقى المدارس عناية صحية خاصة فتزورها الزائرة الصحية بانتظام لمراقبة نظافة الأولاد والبنات وإحالة المرضى منهم للعلاج .

ويسرنى أن أقرر أن أول ما يسترعى انتباه أى زائر للقرى التابعة للمراكز الاجتماعية ما يشهده فيها من نظافة تختلف اختلافاً بيناً عنها فى القرى العادية حتى أن بعض هؤلاء الزوار يسيئون بنا الظن وينسبون تلك النظافة إلى استعداد خاص بمناسبة الزيارة والواقع أنها نتيجة لمجهود يومى متواصل .

وتلقى العناية بالعيون كل اهتمام وتنظم لهذا الغرض طوابير يومية للقطرة والمس ، كما تنظم بكل قرية دعاية صحية عن طريق المحاضرات والأحاديث وأفلام وزارة الصحة .

وتتغلغل بين القرويات خرافات صحية ويؤمن بوصفات بلدية ضارة وتبذل الزائرة الصحية جهداً متصلا فى محاربة تلك المعتقدات ، وقد أمكن القضاء على البعض منها بنجاح بفضل ما اكتسبته الزائرات من ثقة ومحبة القرويات .

ويمر الموظفون بسوق القرية لمراقبة نظافة المأكولات المعروضة وصلاحيتها وينصحون بتغطيتها كما تنظم حملات لمقاومة العادات الضارة كالتدخين وتعاطى المكيفات .

واستجاب الكثير من الفلاحين الحفاة للدعاية التى يقوم بها الموظفون ضد الحفاء وأخذوا فى مشترى ما يلزمهم من نعال مشروع مقاومة الحفاء بالثمن واستعملوها فعلا بعد إدخال التعديلات الملائمة لهم وقد بدىء بمقاومة الحفاء بين تلاميذ وتلميذات المدارس الإلزامية وبلغ عدد ما اشتراه الأهالى فعلا ٢٠٠٠ زوج من النعال علاوة على ١٨٠٠ طلبوا مشتراها وجارى توريدها لهم .

ويقبل الفلاحون على الاستفادة بخدمات العيادة الطبية ودار رعاية الأم والطفل ، وهم مغتبطون بما يلقون فيها من رعاية وعناية مرتاحون إلى ما أفادوه منها وما وفرته عليهم من مشقة الانتقال وتكاليف العلاج وهم يدخلونها بثقة وكرامة لشعورهم بأن المركز الاجتماعى مركزهم وبأنهم قد ساهموا فى نفقاته ، وأنهم لا يحصلون على هـذا العلاج كصدقة .

وقد بلغ عدد المترددين على عيادات المراكز الاجتماعيـــة الخمس فى الستة أشهر الأولى حوالى ٤٠ ألفـاً ، والمترددات على دور رعاية الأم والطفل حوالى ٢٥ ألفاً ، وذلك بخـلاف الحـالات التى لا يتيسر علاجها فى القرية ويحيلها الطبيب إلى أقرب المستشفيات والزيارات المنزلية للطبيب والزائرة .

التوعية الثقافية :

بدىء فى كل المراكز بحملة لمكافحة الأميـة وأنشىء بكل قرية فصل ليلى لتعليم الكبار القراءة والكتابة والحساب وبعض المعلومات العامة ، ويقوم بالتدريس فى تلك الفصول مدرسون من القرية متطوعون ، ويقوم الأخصائى بتدريس المعلومات العامة والزائرة بتدريس مبادىء الصحة ، ويدفع كل طالب مصروفات شهرية قدرها قرشان لتغطيـة المصاريف وإشـعار الطلبة بكرامتهم وحفزهم على المواظبة ، وليست بهـذه الفصول مجانية إطلاقاً ، وقد أمكن إقناع بعض الأعيان بدفع المصروفات عن الفقراء الذين يعجزون عن أدائها .

ويبلغ عدد الطلبة فى كل من تلك الفصول ٦٠ طالباً فى المتوسط .

وزودت المراكز الاجتماعية بأجهزة راديو يقبل الأهالى على الاستماع إليها ، كما يقبلون على حضور المحاضرات الثقافية المبسطة التى ينظمها الأخصائيون ويشترك فى إلقائها المثقفون من أهالى القرية .

ويتلقى كل مركز اجتماعى المجلات والنشرات الملائمـة ، ونأمل أن يتم قريباً تكوين مكتبة ريفية نافعة فى كل مركز .

ويجرى التفاهم مع وزارة المعارف لتحويل المدارس الإلزامية بقرى المراكز إلى مدارس ريفية عملية على نظام جديد يحقق الأغراض من هذا التعليم وذلك بعد أن جرب هذا النظام بنجاح فى قرية المنايل قليوبية .

الناحية الاجتماعية :

لجان المصالحات — وفقت لجان المصالحات لفض الكثير من المنازعات دون الالتجاء إلى الإدارة والمحاكم ، كما أمكن إتمام الصلح فى كثير من القضايا التى كانت منظورة من سنين أمام القضاء — ١٠ قضايا فى برما — ٧ فى هلا — ٥ فى منية الحيط — ٤ فى أبو النمرس . وتعنى لجان المصالحات بتسوية أسباب الخلاف محلياً قبل استفحالها ، وقد بلغ من نجاح لجنة المصالحات بأبو النمرس أن قررت جهات الإدارة المختصة إحالة كل ما يصل إليها من شكاوى على تلك اللجنة أولا .

لجان الاحسان — حصرت لجان الإحسان كأول خطوة العائلات الفقيرة فى كل قرية ودرست حالتها ثم قامت بحملة فى كل موسم لحث القادرين على إخراج الزكاة الشرعية نقداً أو عيناً وصرفها عن طريق تلك اللجان حتى تصل للمستحقين فعلا وحتى ينتظم توزيع الإحسان فلا يستأثر فقير بمعونة عائلات متعددة ويحرم ثان من أية معونة . وقد استجاب الفلاحون لنداء تلك اللجان فى المواسم . وأذكر لحضراتكم على سبيل المثال ما قامت به إحدى تلك اللجان ، وهى لجنة الإحسان بأبى النمرس ، إذ استطاعت بمناسبة عيد الأضحى أن تجمع ١٥ جنيها اشترت منها ملابس وزعتها على ٧٣ فقيراً ووزعت نقوداً على ١٨ عائلة وجمعت اللجنة أيضاً ٢٠٠ رطل لحم وزعتها على الثلاثين عائلة الباقية التى ثبت احتياجها . وقد كان لنشاط هذه اللجنة الفضل فى أن يمر العيد على تلك القرية وقد حظى كل محتاج فيها بما يلزمه من كساء أو بنصيب من اللحم . وبعد أن لمس الأهلون قيمة نشاط لجان الإحسان أمكن إقناع أعضاء تلك اللجان بوضع سياسة لمساعدة العائلات الفقيرة عن طريق خلق موارد مستديمة لهم بدلا من الصدقة المتقطعة وقد بدأت كل اللجان بشراء عدد من الكتاكيت الممتازة السابق ذكرها وزعتها على العائلات الفقيرة بمعدل ٢٠ كتكوت لكل عائلة فى المتوسط معها الغذاء اللازم لها على أن تسترد اللجنة فيما بعد فرخة نظير كل عشرة كتاكيت .

وبدأت تلك اللجان فى عمل الدعاية لتعزيز مواردها لتتمكن من إعطاء كل عائلة فقيرة نعجة أو معزة صغيرة تسترد ثمنها من النتاج .

وستوجه الصناعات الزراعية والمنزلية الصغيرة كتربية دودة القز والنسيج نحو تلك العائلات الفقيرة أولا ثم الأقل فقراً وهكذا . وستكون تلك اللجان قد حققت مهمتها على أسلم الطرق للخدمة الاجتماعية عندما يتوفر لكل من تلك العائلات عن طريق إنتاج البيض أو تربية الأغنام أو الماعز أو عن طريق الصناعات الصغيرة دخل يكفيها دون ما حاجة إلى الصدقات .

الخدمات الدينية — تعنى المراكز الاجتماعية على وجه العموم بتقوية الناحية الدينية والاستفادة بتعاليم الدين فى نشر الفضيلة والنظافة . ويعنى الإخصائيون بمعاونة لجان الإصلاح الدينى بتنظيم خطب الجمعة بالاتفاق مع أئمة المساجد حتى تتناول تلك الخطب ما يهم القرية وأهلها فى مختلف الظروف والمناسبات وحتى تتضمن الإرشاد المطلوب . وقد تم إنشاء مكتب لتحفيظ القرآن بأبى النمرس بضم ٢٠٠ تلميذ والمنتظر أن يتم قريباً إنشاء مكاتب مشابهة فى بقية المراكز . وأنشئت مدرسة الجمعة فى منية الحيط حيث يجتمع الأولاد فى صباح كل يوم جمعة ويزاولون بعض الألعاب الرياضية ثم يستمعون إلى درس دينى مبسط ثم يتوضأون ويؤدون صلاة الجمعة جماعة بالمسجد .

والغرض من مدرسة الجمعة هـــذه تلقين الصغار المبادىء الدينية الصحيحة وتعويدهم على الصلاة وهى أول تجربة من نوعها فى مصر .

وتقوم لجان الإصلاح الدينى بجهود موفقة فى سبيل تطهير الموالد من الرذائل والمفاسد وتسلية المجتمعين بما يفيدهم كعرض أفلام وزارتى الصحة والزراعة أو الاستعانة بالفرق التمثيلية التى كونت من شباب بعض القرى وقد كان لنشاط لجنة الإصلاح الدينى بمنية الحيط أثره فى تغيير طريقة الاحتفال بموسم عاشوراء الماضى .

وتمكنت لجنة الإصلاح الدينى بقرية القيطون التابعة لمركز هلا الاجتماعى من إقناع الأهالى حتى امتنعت القرويات عن الخروج خلف الجنازات وكذا عن إقامة حفلات الزار .

الرياضة البدنية والتسلية — يستعين الإخصائيون بالمدرسين بالقرى فى تنظيم الرياضة البدنية والحفلات الرياضية لتلاميذ تلك المدارس كما يعنى الإخصائيون بنشر الرياضة البدنية بين شبان القرى « النادى الرياضى بالعلاقمة » وتتجه سياسة تشجيع الرياضة فى قرى المراكز إلى إحياء الألعاب القروية المندثرة وتهذيبها وإدخال أقل الألعاب حاجة إلى المعدات والتكاليف حتى يستطيع أكبر عدد من القرويين المساهمة فيها .

خدمات مختلفة — يشمل عمل الإخصائيين والأطباء والزائرات الصحيات مساعدة الفلاحين فى كل ما يعرض لهم من مشاكل وخدمتهم فى أية ناحية تتاح لهم وقد اكتسبوا بفضل إقامتهم فى القرى بين أهلها وتشبعهم بالروح الاجتماعية الصحيحة محبة الأهلين وثقتهم . وتتناول خدمات الموظفين للأهالى مواضيع متنوعة لا يتسع المجال لسردها . كمساعدة الأهالى لدى مختلف المصالح مثال ذلك توفير البترول للقرية بالسعر الرسمى بمساعدة رجال الإدارة (برما وهلا والعلاقمة) أو إصلاح الطرق الموصلة للقرية (منية الحيط) أو توفير مياه الرى فى الأدوار السيئة (برما والعلاقمة) أو توفير الذرة بالسعر الرسمى للفقراء (هلا) وكذا الأقمشة (أبو النمرس) وغير ذلك .

* * *

لعلى قد وفقت فى عرض مهمة المراكز الاجتماعية وما بدأت تحققه للفلاحين من خدمات فى الفترة الوجيزة التى مضت على إنشائها ولعل ما بدأ من بوارق نجاح تلك المراكز فى تحقيق رسالتها يجعلكم تشاركوننا الإيمان بأن مشروع المراكز الاجتماعية هو أسلم مشروع شامل للنهوض بالفلاح والقرية بأقل التكاليف .

ولا يفوتنى فى ختام هذا الحديث أن أقرر أن الأول يرجع إلى استجابة الفلاحين أنفسهم ومعاونتهم المادية والأدبية كما يرجع إلى إخلاص وتفانى الموظفين المقيمين بتلك المراكز وأسأل الله ألا يتأخر ذلك اليوم الذى ينال الفلاحون فيه وهم غالبية الشعب بعض ما يستحقون من ميزانية الدولة وعنايتها العملية فتعم المراكز الاجتماعية الريف المصرى وتشمل خدماتها كل أهله وتحقق للفلاحين ما يستحقون من تقدم ورخاء .